

2. ملح ونور المؤمنين بالمسيح.

موعظة الجبل

متى 5: 13-20

نواصل دراسة عظة الجبل. يعتبرها البعض أكثر عظات يسوع شهرة. كثيرًا ما يُقتبس منها، حتى من قبل أولئك الذين لا يتبعون المسيح. تردد صدق هذه الأقوال عبر التاريخ، لكن في ذلك الوقت، ربما لم يدرك المستمعون التأثير الدائم الذي ستخلفه هذه الكلمات على الأجيال القادمة. كان يسوع يقدم طريقة جديدة في التفكير والعيش لأتباعه. يقدم متى ما يعتقد العديد من العلماء أنه نسخة مختصرة من تعاليم المسيح حول كيفية عيش تلاميذه وكيفية تجنب حزن الروح القدس. يعتقد العديد من معلمي الكتاب المقدس أن يسوع ألقى الثماني طوبى (المواقف الجميلة) ثم فصلها، موضحًا معناها بأمثلة من الحياة الواقعية. بعبارة أخرى، يكشف باقي عظة الجبل كيف يعمل الروح القدس في قلب حياة المؤمن. وجهة نظرنا هي أن متى لم يتبع ترتيبًا زمنيًا صارمًا عندما سجل كيف طبق يسوع الطوبى.

عندما يعيش تلاميذ المسيح وفقًا لقيادة وإرشاد روح الله، سيقابلون أولئك الذين يعملون بروح مختلفة، بمواقف معارضة لله. في دراستنا السابقة، التي ركزت بشكل أساسي على التطويبات، تحدث يسوع عن الاضطهاد الذي سيحل بالمؤمنين عندما يعيشون المواقف الجميلة في حياتهم (متى 5: 11-12). ولكن، كيف يجب أن نرد على مثل هذا الاضطهاد؟ هل يجب أن ننسحب ونختبئ من نظام العالم، ونلحق جراحنا، ولا نواجه الظلمة مرة أخرى؟ لا، لأننا كمؤمنين بالمسيح، نحن ضمير العالم الذي نعيش فيه. إذا سمح أتباع المسيح لهذا العالم أن يفرض قيمه علينا كمؤمنين، فسيتم تشكيل هذا العالم وفقًا لأجندة شريرة؛ ولكن إذا وقف الرجال والنساء الأتقياء للدفاع عن الحقيقة، فسيكتسب الآخرون أيضًا الشجاعة للوقوف في وجه الظلمة. قال يسوع: **"أنا نور العالم. من يتبعني لا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة"** (يوحنا 8: 12). عندما نعيش حياتنا وفقًا لهذه المواقف الجميلة، فإننا نشير إلى الطريق إلى يسوع، ونقدم للآخرين نور الحياة. فيما يتعلق بردنا على الاضطهاد، قدم لنا يسوع استعارتين عن كيفية الرد على أولئك الذين يضطهدوننا.

ملح الأرض

13 "أنتم ملح الأرض، ولكن إذا فقد الملح طعمه، فكيف يستعيد ملوحته؟ لا يصلح بعد ذلك لشيء إلا أن يُطرح ويُداس تحت أقدام الناس. 14 "أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة مبنية على جبل. (15) ولا يضيء الناس سراجًا ويضعونه تحت سلة، بل على منارة، فيضيء لجميع الذين في البيت. (16) هكذا، فليضيء نوركم أمام الناس، لكي يروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات (متى 5: 13-16).

لنتحدث أولاً عن الملح. عندما كان يسوع يسير على الأرض، كان الملح سلعة ثمينة. في عهد قيصر، كانت روما تدفع لجندوها بالملح، وفي الصين القديمة، كان الملح ثنائي أثمان شيء بعد الذهب. حتى اليوم، نقول عن الناس إنهم "يستحقون وزنهم ذهبًا". لماذا كان الملح ثميناً إلى هذا الحد؟ سننظر إلى ثلاثة أشياء قد يكون يسوع أشار إليها في تشبيهه للمؤمنين بالملح:

(1) كان الملح يرمز إلى النقاء. كان الرومان يعتقدون أن الملح هو أحد أنقى الأشياء على الأرض لأنه يأتي من أنقى وأبيض الأماكن، البحر والشمس. كان لديهم قول مأثور: "لا يوجد شيء أكثر فائدة من الشمس والملح". ربما كان يسوع يقول إن المؤمن يجب أن يكون مثلاً للنقاء لمن حوله، أي نقاء الكلام ونقاء الحياة.

(2) كان الملح مادة حافظة. عندما لم تكن هناك ثلاجات ومجمدات، كان الملح هو الطريقة الوحيدة لإبطاء التعفن. كانت رحلة نقل الأسماك من بحر الجليل إلى أورشليم تستغرق يومين أو ثلاثة أيام، لذلك لإبطاء التحلل، كان يتم تمليح الأسماك أو اللحوم لتبقى طازجة. وبنفس الطريقة، فإن المؤمنين بالمسيح، من خلال طريقة عيشهم حياة مقدسة، سيبتلون من تدهور أي مجتمع يعيشون فيه. ومع ذلك، يجب أن تتجمع عدة حبيبات معاً حتى يكون الملح فعالاً ويؤثر على المجتمع، أي يبطئ من تحلل الثقافة.

(3) الملح يضيف نكهة على الطعام. بعض الأطعمة تكون بلا طعم لدرجة أنه يمكن جعلها أكثر استساغة بإضافة الملح. غالبًا ما أتناول بيضتين على الإفطار، لكنني أجد البيض بلا طعم بدون ملح (وقليل من الفلفل). تقريبًا كل وصفة طبخ يمكن أن تجدها ستتضمن الملح. قبل أن أسلم حياتي للمسيح، كانت الحياة تبدو لي بلا معنى. كنت أجد صعوبة في تحمل الحياة اليومية كصياد تجاري، حيث كنت أعمل ستة عشر ساعة في اليوم، ستة أيام في الأسبوع، ولكن عندما دخل المسيح حياتي، بدأت فجأة أرى الحياة ذات هدف وذات معنى وحتى مثيرة. وجدت هدفًا وقيمة في حياتي من خلال تكريسها لنشر إنجيل المسيح. لم أعد أعيش من أجل أشياء هذا العالم، بل بدأت أعيش من أجل ما هو أبعد من هذه الحياة. الرب يضيف نكهة إلى حياتنا. في المرة الأولى التي قابلت فيها شخصًا أو مجموعة من الأشخاص الذين أحبوا يسوع وعاشوا حياتهم المألحة أمامي، أردت ما لديهم. الملح يخلق العطش، وما لديهم، كنت بحاجة إليه. كان علي أن أشرب بعمق من الرب يسوع. من حولنا أناس عطشى؛ لكنهم لا يعرفون ما الذي سيروى عطشهم. إذا لم نخبرهم، فسيظلون عطشى.

عندما نسمع عظات عن هذه الفقرة من الكتاب المقدس، غالبًا ما تكون منفصلة عن النص الذي يسبقها، حيث تحدث يسوع عن الاضطهاد. كان الرب يقول إننا إذا تمسكنا بالطوبى، فسوف نواجه الاضطهاد بسبب القيم التي نتمسك بها. إذا انهارنا تحت الضغط وتنازلنا عن التزامنا، نفقد قدرتنا على التأثير على الآخرين من حولنا. هناك دائمًا آخرون من حولنا يتساءلون سرًا عما إذا كان هناك أي قيمة للسير مع المسيح. أنت لا تعرف أبدًا من من حولك قد يكون يبحث في داخله عن الحقيقة. أنت تعبير عن المسيح للعالم. إذا كان هناك من يبحث عن النور والسلام والأمل في هذا العالم، فهل سيرى ذلك فيك؟ هل سينجذب إلى يسوع من خالك؟ سمعت ذات مرة شخصًا يقول إنه لم يسمع بالإنجيل أبدًا عندما كان صغيرًا، مضيفًا أنه إذا كان هناك أي مسيحيين حوله في ذلك الوقت، فإن أيا منهم لم "يكشف عن هويته"! قال الدكتور مارتن لويد جونز ذات مرة: "مجد الإنجيل هو أنه عندما تكون الكنيسة مختلفة تمامًا عن العالم، فإنها تجذبه دائمًا. عندئذ يُجبر العالم على الاستماع إلى رسالتها، على الرغم من أنه قد يكرهها في البداية".

هل يمكنك أن تفكر في شخص ما كان بارزًا كأحد أتباع المسيح من خلال تميزه في إيمانه؟ هل هناك شخص في حياتك جعلتك تفكر في المسيحية؟ أو هل هناك شخص ألهمك لترغب في العيش بشكل مختلف؟ كيف فعلوا ذلك؟

أنا أنظم وأقود جولات سياحية في أرض إسرائيل، وفي كل مرة أذهب فيها، آخذ الناس دائمًا إلى أحد الفنادق في أدنى مكان على وجه الأرض، البحر الميت ووادي نهر الأردن. يستمتع الكثيرون بتجربة الاسترخاء والصحة التي يوفرها الطفو في البحر الميت. يشتهر الطين هناك بقدرته على تطهير مشاكل الخطيئة. يضعون الطين على أنفسهم قبل الاستحمام والاستمتاع بخدمات السبا والتدليك التي تقدمها معظم الفنادق في المنطقة. في المساء الذي يسبق مغادرتنا إلى البحر الميت، يجب أن أحذر الناس من الحلاقة بسبب ارتفاع مستويات الملح في المياه التي سيطفون فيها. إذا تجاهلوا نصيحتي، فقد تكون تجربتهم في الطفو في البحر الميت مؤلمة، على الرغم من الخصائص العلاجية للمياه.

الملح مؤلم للجروح المفتوحة، وبالطبع لا أحد يحب الألم. لا يُرحب بالألم في كثير من الأحيان، لكن الملح والمعادن الأخرى في مياه البحر الميت يمكن أن تساعد في شفاء الجلد. يشعر المرء بالنظافة والانتعاش بعد الاستحمام في الماء. تمامًا كما أن تنظيف المياه المالحة مفيد للجسم، فإن قيمنا المالحة تجلب قوة تنظيف مطهرة للعالم. يمكن أن يجلب النور والملح الذي نحمله الشفاء لمجتمع متدهور. ومع ذلك، غالبًا ما يكون هناك رد فعل عنيف واضطهاد بسبب القيم التي يؤمن بها المؤمن بالمسيح. إذا رأى غير المؤمنين بالمسيح أن المسيحيين يتنازلون عن معتقداتهم وقيمهم، فلن يرى الناس شهادة إيجابية للمسيح فحسب، بل يمكن أن يكون لذلك أيضًا تأثير سلبي، ويقويهم أكثر على عيش حياة غير تقيّة في نظام هذا العالم. إليك سؤال جيد لتطرحه على نفسك: "هل العالم يضرني أكثر مما ينفعني؟"

إذا لم ير غير المؤمنين بالمسيح أي فرق في حياتنا المسيحية، فإن ذلك لا يشكل تحديًا لرؤيتهم للعالم ولا يمنحهم أي أمل. ونتيجة لذلك، يتم التخلي عن "ملوحة" قيمنا وتجاهلها (آية 13). يجب على الكنيسة، مثل قارب النجاة، أن تبقي الماء خارج القارب. ولكن عندما يدخل البحر إلى قارب النجاة، تواجه ثقافتنا مشاكل.

أنتم نور العالم.

ثم استخدم المسيح استعارة النور لوصف المؤمن. عندما نظر إلى تلاميذه على سفح التل، قال لهم إنهم نور العالم (آية 14). في الأيام التي كُتِب فيها العهد الجديد، كانت المصابيح المنزلية تتكون من وعاء فخاري يحتوي على زيت مع فتيل نصفه مغمور في الزيت ونصفه الآخر يظهر من ثقب صغير في أحد طرفيه. للأسف، لم تكن هناك أعواد ثقاب في تلك الأيام، مما جعل من الصعب إعادة إشعال المصباح عندما ينطفئ. ونتيجة لذلك، كان معظم الناس يبقون المصباح مشتعلًا ولكنهم يقصرون الفتيل حتى لا يستهلك كل الزيت الموجود في المصباح.

عادةً ما يضع صاحب المنزل المصباح في مكان مرتفع في الغرفة على حامل طويل، ولكن الحامل يمكن أن ينقلب، ويمكن أن يشكل الزيت على الأرض مع الفتيل المشتعل خطراً. لذلك، كانوا أحياناً يغطون المصباح المشتعل بسلة من أجل السلامة. وعندما كانوا بحاجة إلى ضوء ساطع، كانوا يزيلون المصباح من تحت السلة، ويضيفون المزيد من الزيت، ويسحبون الفتيل أكثر لإضاءة الغرفة (متى 25: 7-8).

بالإشارة إلى شعبه على أنهم أنوار في العالم، قال الرب أنه بدلاً من إخفاء شهادتنا للمسيح، وإخفاء نورنا، والاختباء، علينا أن نضيء في الأوقات المظلمة ونطرد الظلمة. أحد الأماكن المفضلة لدي في إسرائيل هو أن أكون على حافة بحر الجليل في الليل. يمكن للمرء أن يرى أضواء مختلف البلدات والمدن فوق الجليل. قال يسوع أننا يجب أن نضيء في الظلام مثل مدينة على تل (آية 14). ربما كان يشير إلى نفس المنظر المذهل على بحر الجليل. النور الذي يأتي من المؤمنين ليس نورهم. لا يتوقع الله منا أن نقدم أنفسنا كحل لمشاكل البشر؛ نورنا هو نور منعكس، أي أن نور العالم هو يسوع (يوحنا 9: 5). عندما ينظر إلينا الناس في هذا العالم، يجب أن يروا المسيح:

لنأخذ الرسل الأوائل كمثال لنا. بعد أن شفى الله الرجل الأعرج من خلال بطرس ويوحنا عند بوابة الجمال في اورشليم، اضطهد الرسل من قبل قادة إسرائيل الدينيين لقيامهم بهذا العمل الصالح. رد التلاميذ بإبعاد الأنظار عن أنفسهم وتوجيهها إلى الرب يسوع باعتباره الشافي. قالوا:

أيها الحكام والشعب،⁹ إذا كنا اليوم نحاسب على عمل صالح فعلناه لرجل أعرج، وبأي وسيلة شفى هذا الرجل،⁽¹⁰⁾ فليكن معلوماً لكم جميعاً ولجميع شعب إسرائيل أن باسم يسوع المسيح الناصري، الذي صلبتموه، والذي أقامه الله من بين الأموات، به يقف هذا الرجل أمامكم سليماً (أعمال الرسل 4: 8-10).

فكروا في جرأة الرسل الذين كان الروح القدس يقوهم. كان في ردهم ما فاجأ الحكام والسيوخ. كيف رد السيوخ على شخص يتجاهل سلطنتهم؟ أخرج سيوخ إسرائيل بطرس ويوحنا وتحدثوا فيما بينهم عن الرسولين. أدركوا أن شيئاً مختلفاً كان يعمل في وسطهم، واعترفوا بالعلامات الدالة على أن التلاميذ كانوا مع يسوع. كان الرب هو الذي تمجد باعتباره الشافي.

ولما رأوا جرأة بطرس ويوحنا، وأدركوا أنهما رجلان غير متعلمين، من عامة الشعب، اندهشوا. وأدركوا أنهما كانا مع يسوع (أعمال الرسل 4: 13).

يعكس المؤمنون بالمسيح مجد الرب وينشرون رسالة الحياة التي يحملها. عندما نعيش حياتنا في علاقة وثيقة مع الرب يسوع، سيري من حولنا المسيح يتألق من خلالنا. لكن هذا الضوء المنعكس لا يجب أن يقتصر على المؤمنين فقط، لأن يسوع لم يقل: "أنتم نور الكنيسة". لا، بل قال إننا "نحن نور العالم" (آية 14). كمؤمنين، يجب أن نكون أنواراً مرشدة أو منارات تظهر الطريق إلى مرفأ المسيح الآمن. الأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون بالمسيح سترها أولئك الذين يعيشون في ظلمة نظام العالم الذي نعيش فيه. إن الانعكاسات الدقيقة لنور العالم فينا ستجذب جميع الناس إلى المسيح: "فليضي نوركم أمام الناس، لكي يروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أبائكم الذي في السماوات" (متى 5: 16). ملحننا ونورنا سيجعل الآخرين متعطشين لحقيقة الله وسيجذبهم إلى نور العالم.

توضح أغنية بعنوان "Portrait" للموسيقي المسيحي الشهير Phil Keaggy هذه النقطة بشكل مثالي. وهي مأخوذة من قصيدة قديمة بعنوان "Indwelt".

"بورتريه"

"ليس فقط في الكلمات التي تقولها،
ليس فقط في أفعالك المعترف بها،
بل في أكثر الطرق اللاواعية يتم التعبير عن المسيح.

هل هي ابتسامة مباركة؟
ضوء مقدس على جبينك؟
لا، لقد شعرت بوجوده عندما ضحكت للتو.

بالنسبة لي، لم تكن الحقيقة التي علمتني إياها،
بالنسبة لك، كانت واضحة جداً، لكن بالنسبة لي، كانت غامضة جداً.
لكن عندما أتيت إليّ، جلبت معك إحساساً بوجوده.

ومن عينيك، هو يناديني،
ومن شفقتك، ينسكب حبه
حتى أفقد رؤيتك وأرى المسيح بدلاً من ذلك.

هل هي ابتسامة مباركة؟
ضوء مقدس على جبينك؟
لا، لقد شعرت بوجوده عندما ضحكت للتو.

جاء المسيح ليتمم الناموس.

¹⁷ «لا تظنوا أنني جئت لأبطل الناموس أو الأنبياء. لم آت لأبطل، بل لأكمل. ¹⁸ فالحق أقول لكم: إن السماء والأرض تزولان، ولكن لا يزول من الناموس حرف واحد ولا نقطة واحدة، حتى يتم كل شيء. (19) لذلك من خفف من هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس أن يفعلوا مثله، فسيدعى أصغر في ملكوت السماوات؛ ومن عمل بها وعلمها، فسيدعى عظيماً في ملكوت السماوات. (20) لأنني أقول لكم: إن لم تزداد بركم على برّ الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات (متى 5: 17-20).

ما رأيك في كلمات المسيح في الآية 20؟ "لأنني أقول لكم: إن لم تزداد بركم على برّ الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت السماوات." في رأيك، ماذا كان يسوع يقول لهم (ولنا) من خلال هذه العبارة؟

قال يسوع إنه جاء ليكمل الناموس والأنبياء. لقد وضع الكتبة والفريسيون قواعد لا حصر لها للتحايل على ناموس الله حتى يتمكنوا من فعل ما يريدون. تراكمت قواعدهم البشرية، التي كان المقصود منها مساعدتهم على حفظ ناموس الله، مع مرور الوقت، طبقة طبقة، حتى اختفى روح الناموس. أصبح ثقل كل هذه القوانين عبئاً ثقيلاً ومعقداً يصعب على أي شخص اتباعه. تحدث يسوع عن قواعد الكتبة والفريسيين، قائلاً: "يُربطون أعباء ثقيلة، يصعب حملها، ويضعونها على أكتاف الناس، لكنهم أنفسهم لا يرغبون في تحريكها بإصبعهم" (متى 23: 4). اتهم يسوع هؤلاء القادة الدينيين بتعليم قواعد أبعدت الناس عن الله:

⁸ «هذا الشعب يكرمني بشفتيه، ولكن قلبه بعيد عني. «عبثاً يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس» (متى 15:

(9-8).

لم يقرب تعليمهم الناس من الله. أشار يسوع إلى أنهم كانوا يقدمون "عبادة شفوية" لله، لكن قلوبهم كانت بعيدة عنه، وكانت

عبادتهم فارغة وأنانية. كيف نشأت التعاليم الخاطئة؟ بسبب عبادة الأصنام وتضحية الأطفال الأبرياء، كما في حالة الملك آحاز والملك منسى، اللذين ضحيا بأبنائهما في النار (2 أخبار الأيام 28:3؛ 2 أخبار الأيام 5:33-7)، نفي الله إسرائيل إلى بابل لمدة سبعين عامًا (إرميا 8:25-11).

أثناء وجودهم في بابل، بدأ الشعب اليهودي يتساءل عن سبب معاقبة الله لهم بنفيهم من الأرض التي أعطاهم إياها. وخلصوا إلى أنهم قد خالفوا شريعة الله، وأن الحل الوحيد هو بناء سياج حول الشريعة بحيث إذا تجاوزوا السياج عن غير قصد، فإنهم لن يخالفوا الشريعة. فأنشأوا نظامًا من القواعد والتفسيرات التي أصبحت تعليقات معروفة باسم الميشناه والتلمود. كانوا يعتقدون أن هذه القواعد ستمنع الناس من الإثم ضد الله.

لم تمارس النخبة الدينية هذه الأمور بنفسها. على سبيل المثال، قالت الكتب المقدسة أنه لا يجوز لهم العمل في يوم السبت، لذلك وضعوا مجلدات من القواعد التي تحدد ما يشكل عملاً في يوم السبت. ما هي المسافة التي يمكن أن يقطعها الشخص قبل أن يصبح ذلك عملاً إذا كان لا يمكنه العمل في يوم السبت وكان عليه أن يستريح؟ نصوا على أنه لا يمكن لليهودي أن يقطع سوى 2000 ذراع (1000 ياردة) من منزله، ولكن إذا ربطوا حبلًا عبر نهاية الشارع، فإن نهاية الطريق تصبح منزله، ويمكنه أن يقطع 1000 ياردة أخرى بعد ذلك. ومع ذلك، إذا احتاج إلى الذهاب أبعد من ذلك في مساء يوم السبت، يمكنه وضع ما يكفي من الطعام لوجبتين على طول الطريق، ويصبح الطعام عندئذٍ مسكنه، مما يسمح له بالسير 1000 ياردة أخرى.¹

أصبحت الحياة نظامًا لاتباع القواعد يركز على الظهور بمظهر الصالحين من الخارج، بينما ينسى جوهر الحب لله وللآخرين. بالطبع، لم يستطع الناس العاديون الالتزام بهذه القواعد الثقيلة والمرهقة التي لا تعبر عن قلب الله المحب. لم يمنح واضعو القواعد سوى القليل من الرحمة للفقراء والمحتاجين حتى جاء يسوع. لا عجب في أنهم ردوا على يسوع بهذه الطريقة عندما تحدى تعاليمهم وفضح نفاقهم.

ماذا تعتقد أن الرب قصد بقوله إنه لم يأت لإلغاء الناموس أو إبطاله أو التخلص منه، بل ليكمّله؟

أصبح الالتزام بالقواعد الدينية ممارسة شائعة بين العديد من الكنائس في الغرب. نرى ذلك كثيرًا لدرجة أننا بالكاد نلاحظه. كشباب مسيحي، بعد خدمة مساء الأحد في كنيسة محلية، كنت في طريقي إلى اجتماع للشباب وفكرت أنه سيكون من الجيد أن أحضر معي حلوى ورقائق البطاطس للاجتماع، لذلك توقفت في المكان الوحيد المفتوح في ليلة الأحد في بلدة صغيرة، وهو متجر بيع المشروبات الكحولية. (متجر بيع المشروبات الكحولية البريطاني مشابه لمتجر بيع المشروبات الكحولية في الولايات المتحدة ويبيع أيضًا جميع أنواع الوجبات الخفيفة).

عندما خرجت من المتجر حاملاً الحلوى والوجبات الخفيفة، قابلتني سيدة مسنة كانت ترتد نفس الكنيسة التي أرتادها. وبختني بشدة قائلة إن اليوم هو الأحد، وسألتني لماذا أزرر مكاناً كهذا في يوم الأحد بصفتي مسيحية. وقع هذا الحادث في بداية مسيرتي المسيحية وكان مربكاً للغاية. أتذكر أنني انكشيت تحت عبء الذنب. يمكن أن تكون قواعد المتدينين مرهقة وتفتقر إلى النعمة. يُعرّف النزعة القانونية والالتزام بالقواعد بشكل شائع على أنهما "الخلاص بجهود الإنسان". كان معلمو الشريعة والفريسيون هم القانونيون في زمن المسيح.

ثم قال يسوع للجماهير وتلاميذه: ² "معلمو الشريعة والفريسيون يجلسون على كرسي موسى. ³ لذلك يجب أن تحرصوا على أن تفعلوا كل ما يقولونه لكم. ولكن لا تفعلوا ما يفعلونه، لأنهم لا يمارسون ما يعطون به، لذلك افعلوا واتباعوا كل ما يقولونه لكم، ولكن لا تفعلوا حسب أفعالهم؛ لأنهم يقولون أشياء ولا يفعلونها." ⁽⁴⁾ "إنهم يربطون أحمالاً ثقيلة ويضعونها على أكتاف الناس، ولكنهم أنفسهم لا يرغبون في تحريكها بأصابعهم." ⁽⁵⁾ "لكنهم يفعلون كل أفعالهم لكي يلاحظهم الناس؛ لأنهم يوسعون تفاسيرهم ويطيّلون أطراف ثيابهم (متى 23: 1-5).

¹ <http://www.studylight.org/commentaries/dsb/view.cgi?bk=41&ch=11>

بعد العيش في إسرائيل لمدة عام ونصف، أدركت بسرعة شغف اليهود المتدينين بأن يلتزم الجميع بالشرعية. يعتقد اليهود الأرثوذكس في القدس أنه إذا تمكنوا من جعل جميع اليهود في الأرض يلتزمون بيوم السبت المقدس كأمة، فإن المسيح سيأتي. لا توجد آية في الكتاب المقدس تدعم هذا الاعتقاد؛ إنه مجرد رغبة في أن يكونوا صالحين من خلال الحفاظ على السياج حول الشرعية. في بعض أجزاء القدس، قد تتعرض سيارتك للرشق بالحجارة إذا قمت بالقيادة في يوم السبت. قد يكون هذا الأمر محبطاً ومربكاً للغاية للسياح المقيمين في فندق في يوم السبت، لأنه إذا ضغطت على زر المصعد الخطأ، فقد يتوقف المصعد في كل طابق بين غرفتك والردهة أو المطعم، حيث يُعتبر الضغط على الزر في يوم السبت عملاً.

على سبيل المثال، اتهم يسوع بخرق القانون لأنه شفى في يوم السبت، لكن هذه القوانين أو القواعد لم تكن مباشرة من الله؛ بل كانت قواعد إضافية أضيفت إلى الشرعية. لم ينتهك يسوع شريعة الله، لأنه جاء ليتممها: **"لا تظنوا أنني جئت لأبطل الناموس أو الأنبياء. لم آت لأبطل، بل لأتمم" (متى 5:17).**

لماذا أعطيت الشرعية؟ هذا السؤال مهم جداً لفهمنا لأن الله أعطى الشرعية ليكشف عن معياره الأخلاقي الصالح. كتب البروتستانت ريتشارد سيبس في القرن السابع عشر عن دور الضمير، قائلاً إنه الروح التي تفكر في نفسها. الضمير هو جوهر ما يميز البشر. على عكس الحيوانات، يمكن للناس أن يتأملوا في أفعالهم ويقوموا بتقييمات أخلاقية لأنفسهم. هذه هي الوظيفة الأساسية للضمير. المشكلة في ضميرنا هي أنه يمكن تربيته وتجاهله ورفضه. الناموس يوضح الضمير ويوفر حدوداً موضوعية. التجاوز هو عبور الخط إلى الخطيئة.

يحدد القانون ما هو الخطيئة. قبل وصول الإنجيل إلى غابات أمريكا الجنوبية والوسطى، كان المايا والإنكا يضحون بأطفالهم الرضع والأطفال الأبرياء لأنهم رفضوا إرشادات ضميرهم. كتب بولس أنه بدون القانون، ما كنا لنعرف ما هي الخطيئة (رومية 7: 7). عندما أعطى الله الإنسان قانونه، لم يعد للإنسان عذر أمام الله القدوس وأصبح مسؤولاً عن أفعاله (رومية 3: 19). لا أحد منا يستطيع أن يحفظ القانون. نحن جميعاً نقصر عن الكمال الأخلاقي (الخطيئة) ونرى أنفسنا كأفراد فاسدين بحاجة إلى مخلص من الخطيئة. الحمد لله أن لدينا مخلصاً من ذنب وعقاب الخطايا التي ارتكبتها؛ وإلا لما كان لدينا أمل.

بالنسبة لأولئك الذين تجمعوا على المنحدرات الشمالية لبحر الجليل، تساءل البعض عما إذا كان هذا الواعظ الجديد، الرب يسوع، ضد شريعة الله. لقد أيد الرب الشريعة وأتم تماماً كل نظام الذبائح الذي نصت عليه الشريعة، لأنه هو رئيس الكهنة الروحي. دخل قدس الأقداس بدمه، وبذلك أتم يوم الكفارة (عبرانيين 9: 11-15) والعديد من قوانين الظلال الأخرى في العهد القديم. وهو أيضاً قال الأنبياء إن الله سيرسله ليقم عهداً جديداً، الذي تكلم عنه النبي موسى: **"يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك، من إخوتك، مثلني، فإليه تسمعون" (تثنية 18: 15).** جاء يسوع ليتمم الناموس والأنبياء.

لم يكن يسوع فوق الناموس، ولم يكن في صراع معه. لقد أكمل الكتب المقدسة! كانت كلماته وأفعاله لتتم ما قاله الرب من خلال الأنبياء.

الملح الذي فقد مذاقه لا يصلح للتتبيل أو الحفظ. إنه عديم الفائدة. الملح الحقيقي لا يمكن أن يفقد ملوحته، لأن كلوريد الصوديوم مركب مستقر للغاية. كان الملح المستخدم في زمن يسوع يأتي على الأرجح من البحر الميت ويحتوي على شوائب. كان من الممكن أن يفقد ملوحته بمرور الوقت ويصبح عديم الفائدة. بالنسبة للمؤمن، هذا يشبه فقدان الغرض الأصلي من وجوده. إذا كنت تشعر أنك "فقدت ملحك"، فإن العلاج الوحيد هو العودة إلى يسوع في حياتك بالثبات معه. من خلال كلمة الله والصلاة وتسليم حياتنا لله، يمكننا أن نختار أن نعيش التطويبات، مهما كانت غير كاملة. صلاتي هي أن نكون، جماعياً وفردياً، أشخاصاً يجعلون الآخرين يتعطشون لله بمجرد وجودنا حولهم.

لنفترض أنك تشعر اليوم أنك خالفت ضميرك (ومن منا لم يفعل ذلك). ربما ترغب في أن تصلي صلاة صادقة إلى الذي أحبك قبل تأسيس العالم وأرسل ابنه، الرب يسوع، إلى العالم ليدفع ثمن حريتك من كل ذنب وعار. إليك صلاة يمكنك أن تصليها بقلب صادق:

أيها الأب السماوي، أؤمن أن يسوع المسيح، ابنك الوحيد، جاء إلى الأرض ليكون مخلص العالم، وأنه بموته على الصليب دفع ثمن خطايا كل من يؤمن به. أشكرك على عطية الخلاص، وعلى أنني، بوضع ثقتي في المسيح، قد عُفرت خطاياي. أشكرك، أيها الأب، على إرسال ابنك ليموت على صليب الجلجثة بدلاً مني. يا رب، أنا أتوب عن كل خطاياي المتكبرة وكل ما يسيء إلى اسمك. أصلي أن يساعدني روحك القدوس على النمو في النعمة ومعرفة يسوع حتى أصل إلى اليوم الذي أدخل فيه ملكوتك. أصلي باسم يسوع، آمين.

كيث توماس

البريد الإلكتروني: keiththomas7@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.groupbiblestudy.com